الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيجل

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التعليم الاساسي للعلوم الاجتماعية

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر الثقافي

أ. م شربال

السنة الجامعية 2022/2021

الثقافة في المغرب الأوسك (الجزائر) أواخر عهد الزيانيين:

امتد حكم الزيانيين في تلمسان من 1235 إلى 1554.

الواقع الإجتماعي والثقافي:

- تنوع التركيبة الإجتماعية وتشتتها في الولاء والمكان.
- حواضر تفتقر لمظاهر الثقافة والصنائع، وبوادي تشهد ترحال القبائل المختلفة.
- هجرة السكان إلى تونس والمغرب، مع غياب سلطة مركزية.
- غياب الأمن والإستقرار السياسي، وفوضى في جميع المجالات.
- الحملات الصليبية على السواحل، وما تبعه من مد التبشير المسيحي.
- المشاكل السياسية داخليا بظهور عديد الإمارات القبلية، وحروب التوسع غربا.

المظاهر الثقافية أواخر العهد العثماني:

- تمزق عائلي وأسري لدواعي سياسية.
- أنحصار العلم والتأليف والتدريس في بعض العائلات لا أكثر.
- أن المدارس والمساجد التي يقدم فيها العلم كانت في بعض المدن الكبرى مع تأثير متباين.
- أن التعليم كان مقتصرا على بعض الناس من المريدين، لأن التعليم كان ينطلق من الزهد والتصوف (ما يعرف بالأولياء الصالحين).
- أن العمران والزخرفة كانت تبرز في بعض القصور والمساجد والحمامات.

تاريخ الجزائر الثقافي في العهد العثماني

الواقع الإجتماعي والتنظيمي:

- في بداية الحكم العثماني كانت نزعة التصدي للحملات الإسبانية والمتحالفين معهم.
- تقسيم البلاد إلى : دار السلطان ـ بايلك التيطري ـ بايلك الشرق ـ بايلك الغرب.
- توالت أشكال من الحكم العثماني في الجزائر او (مراحل) كما: البايلربايات ـ الباشاوات ـ الآغاوات ـ الدايات.
- ريفية المجتمع الجزائري في معظمه باستثناء مناطق حضرية معدودة.
- سيادة النظام الإقطاعي (العثماني) في إطار القبيلة كتنظيم تقليدي (سياسي ـ إجتماعي).
- ممارسة النشاط الزراعي وبعض الحرف والصنائع على قلتها (الاندلسيون).

الواقع الثقافي للجزائر في العهد العثماني:

لم يول الأتراك العثمانيين أي أهمية للجانب الثقافي في أيالة الجزائر بقدر ما كانوا يهتمون بتوطيد حكمهم للجزائر. لذلك فإن المظاهر الثقافية كانت امتدادا لما تبقى من عهد الزيانيين على قلتها. ويبرز الواقع الثقافي للجزائر في عهد العثمانيين فيما يلي:

- وجود مؤسسات تعليمية ومدارس قرآنية، ودور الفقه وشيوخ الزوايا والمساجد والجوامع...
- بعض المكتبات الكبرى التي تضم كتب الدين والفقه واللغة وحتى الطب.
- وجود 03 مدارس للمذهب المالكي في مدينة الجزائر.
- بروز مدرسة (مازونة) التي تخرج منها عديد العلماء (كانت مشهود لها في كل البلاد العربية).
- الإهتمام بالعمران في بعض الحواضر كما (القصبة) في مدينة الجزائر،واهم معالمها (جامع كتشاوة). و(السويقة) في قسنطينة، وبعض المعالم كما في بجاية وميلة.

- ورغم ذلك كانت العديد من الإساءات للعلم والثقافة حيث كان:

- عدم الإهتمام بالتعليم في الجزائر (كسياسة مقصودة أحيانا).
- لم يعمل العثمانيون لإيجاد بنى تحتية للتعليم والثقافة.
- الإهتمام الضئيل ـ فقط ـ بتدارس كتاب الله وأدب السيرة.
- في العديد من المرات إهانة العلماء والأدباء والزج بهم في السجون ما ادى بالباقي إلى الهجرة.
- انتشار الطرق الصوفية، ومن ثمة فكر منغلق تتحكم فيه عديد المعطيات والتجاذبات.

معالم الثقافة في العهد العثماني:

- لم يكن في الجزائر وضعا ثقافيا وعلميا قائما بذاته، مع وجود مزيج ثقافي من ما هو موجودا منذ الدولة الزيانية وإسهامات الاندلسيين واليهود والقادمين من مناطق نفوذ الدولة العثمانية كما بلغاريا وألبانيا واليونان...
- عدم وجود سياسة تعليمية أو دينية عدا بعض المؤسسات التعليمية والمدارس القرآنية والكتاتيب في المدن والزوايا في الأرياف.
- وجود بعض المدارس للمذهب المالكي في مدينة الجزائر، وتدريس علوم القرآن الكريم والفقه وعلوم اللغة... في بعض الحواضر (مازونة ، قسنطينة ...)
- بروز عديد الفقهاء والمؤرخين الذين خلفوا تراثا يعتد به كما: احمد المقري : نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ابن مريم المديوني: البستان في ذكر الاولياء وعلماء تلمسان، ومحمد بن علي الخطابي الإدريسي الذي كانت له مؤلفات في الفقه والتصوف والأنساب والسير...
- ازدهار الاوقاف والعمارة على قلة المدن التي شملتها (الجزائر، قسنطينة...)
- بعض الإزدهار في مجال الصنائع والحرف والطب التقليدي.
- بروز الطرق الصوفية في مقابل الشعودة كهروب من واقع متردي فرضه او ساهم فيه الحكم العثماني (المتابعة، السجن، فرض الضرائب ...).

موقف الادارة الاستدمارية من المخلفات الثقافية للعهد العثماني

مع سقوط الدولة العثمانية ودخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر بدا في انتهاج سياسة هدفها القضاء على كل المؤسسات التي تنشر وتحافظ على عناصر الهوية الثقافية الجزائرية .

1ـ المساجد :

مدينة الجزائر وحدها كانت تضم بين 120 إلى 166 مسجدا في نهاية الحكم العثماني ،كما ان معظم القلاع والبروج مزودة بمصليات لتمكين الجنود من أداء صلواتهم . ومع دخول الفرنسيين إلى الجزائر باشروا في تنفيذ سياسة تهدف إلى اقتلاع الدين الإسلامي واللغة العربية . واخذت المساجد نصيبها من ذلك إذ أغلق بعضها والبعض الاخر حول إلى اصطبلات أو كنائس أو ثكنات عسكرية أو مقرات إدارية أو معاهد للثقافة الفرنسية وللتبشير بالدين المسيحي لهدم عقيدة الجزائريين ،كما هدم البعض منها بحجة إعادة تخطيط المدن. و لم يبق في مدينة الجزائر مثلا سوى 10 مساجد .

و قامت السلطات الاستعمارية بمحاربة الأئمة ، فقيدت نشاطاتهم ووضعتهم تحت الرقابة الجبرية ونفت العديد منهم إلى بلدان اخرى .

2ـ الزوايا : تم إغلاق العديد منها ونفي مدرسيها وطلبتها ، بموجب قرار 1847م ، وصادرت فرنسا مصادرها المالية وقامت بهدم بعضها وتحويل البعض الاخر إلى مخازن ، كما قامت بدمج التعليم بالزوايا مع المدارس الابتدائية الفرنسية وفق مرسوم 18 اكتوبر 1892 م فأخضعتها بذلك للتفتيش والمراقبة وقامت بتشجيع الزوايا القائمة على الخرافات والشعوذة .

3ـ المدارس العربية : تم إغلاق المدارس العربية ومنعت أساتذتها من إلقاء الدروس في اللغة العربية لفرنسة النشء.

4ـ الأوقاف : حولتها إلى أملاك للدولة الفرنسية وعينت عليها وكلاء جدد تابعين لها .

الإدارة الاستدمارية بين لغتين (العربية ــ الفرنسية): تحولت اللغة العربية إلى لغة اجنبية ممنوعة ومقصاة من كل الدواوين والادارات الرسمية وحلت محلها اللغة الفرنسية .

1ــ موقف الإدارة الفرنسية من اللغة العربية : أدركت فرنسا ان مكانة اللغة العربية من دورها الديني الذي مارسته طيلة عقود ماضية فـ اصدر الحاكم العام الفرنسي للجزائر في 24 ديسمبر

1904م قرارا ينص بعدم السماح بفتح مدارس لتعليم العربية دون رخصة من السلطات الاستعمارية العسكرية ، وفي 8 مارس 1938م أصدر رئيس الوزراء آنذاك قرارا يحظر استعمال اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية وجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة الرسمية في البلاد .

2ـ نشر اللغة الفرنسية

صرح احد السياسيين الفرنسيين قائلا :«أرى ان انتشار لغتنا هو الوسيلة الأكثر فعالية لتسجيل التقدم في السيطرة على هذا البلد .... إن المعجزة الحقيقية التي يجب القيام بها هي استبدال شيئا فشيئا اللغة العربية باللغة الفرنسية .» تحت إشراف اكاديمية الجزائر التي تعمل تحت إشراف وزارة التربية الفرنسية والتي قسمت التعليم إلى نوعين احدهما منظم موجه للأوروبيين ، والآخر خاص بالجزائريين في مدارس يقصدها اطفال الأعيان من الموالين للسلطة الفرنسية .

3ـ انشاء المدارس العربية الفرنسية في عهد الجمهورية الثانية سنة 1850م وكان الغرض منها القضاء على المدارس العربية الإسلامية الحرة . فكانت مدارس ابتدائية تدرس اللغة العربية صباحا والفرنسية مساء قدر عددها بـ 38 مدرسة و ثانويتين واحدة بالجزائر العاصمة والثانية بقسنطينة ضمت 200تلميذا ، كان الغرض من إنشائها تخريج كوادر جزائرية تحتاجها الادارة الاستعمارية في القضاء والترجمة .

الاستشراق وخدمة الاستدمار الفرنسي

الاستشراق نشاط فكري نشأ في الغرب وأوروبا خاصة واتخذ من الشرق مادة وموضوعا لدراساته وهو القوة العلمية التي ساندت القوة العسكرية الغربية في مواجهة المسلمين أي أنه وسيلة للإستدمار وتشويه الهوية في معظمه.

1ـ مفهوم الاستشراق :

يعرفه عبد الحميد غراب بانه «دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة ، ثقافة وحضارة ، تاريخ ، نظم، ثروات ، امكانات . بهدف تشويه الاسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه ، وتضليلهم عنه ، وفرض التبعية للغرب عليهم ، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الاسلامي .» وهكذا فان الاستشراق يقصد به طلب علوم الشرق والتخصص

في معرفتها ، و المستشرق فهو المتخصص في علوم الشرق وحضارته واطلق هذا المصطلح لأول مرة على أحد اعضاء الكنيسة الشرقية سنة 1630م .

2ـ أهداف الاستشراق

ـ معرفة الاسلام بغرض محاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه وتنفيرهم منه ،

ـ السعي للتقدم العلمي بترجمة التراث الإسلامي وحصر كل مصادره العلمية.

ـ خدمة السياسية التوسعية للدول الغربية .

ـ نشر الثقافة الغربية من خلال نشر اللغات الاوروبية ومحاربة اللغة العربية .

3ـ المستشرقون والادارة الفرنسية

ارتبط الاستشراق بإدارة الاحتلال ثم زاد ارتباطه في الفترة بين 1879 م ـــ 1930م . حيث يؤكد أحد الباحثين على ذلك بقوله :»لقد اعطى الاحتلال الفرنسي للجزائر دفعا قويا جدا لحركة الاستشراق الفرنسي بمحتواه الاستعماري ،إذ وقعت اغلب المخطوطات والوثائق الجزائرية بين أيدي مستشرقيها الذين شرعوا في تحليلها ودراستها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية بهدف توظيف كل ما يتوصلون اليه من نتائج في تثبيت الوجود الاستعماري .»

ويطرح احد الباحثين وهو الطيب بن ابراهيم قوة العلاقة بين الاستشراق والاستعمار إذ يقول ك «ان القوتين الفرنسيتين الاستشرافية والاستعمارية كانتا متطابقتين ومتلاحقتين ، والعلاقة بينهما كانت اكثر انسجاما وتكاملا ويعود ذلك لوحدتهما القومية والمصلحية والوطنية ..... فالاستعمار الفرنسي يتميز عن غيره بأنه كان استعمارا استيطانيا خاصة في شمال افريقيا ،

سياسة التنصير في الجزائر

تعددت أوجه الاستعمار الفرنسي للجزائر ، إذ لم يكن استعمارا سياسيا او اقتصاديا فقط ، بل كان حربا صليبية لأجل شعب بلا هوية وبلا أرض حتى تتمكن من إخضاعه ، فاتبعت سياسة التنصير والقضاء على الاسلام والثقافة الاسلامية في الجزائر . ولقد جاءت هذه السياسة بمباركة من بابا الكنيسة ،إذ اعتبرت في نظرها :

ـ عمل مبرر وشرعي ومقدس تحت غطاء نشر المسيحية والجهاد المقدس .

- بعث مجد الكنيسة الضائع ونشر المسيحية للناس كافة .

- تواطؤ الكنيسة مع السلطة الاستعمارية من اجل القضاء على الثقافة الاسلامية ،و دعوى نشر الحضارة . حيث صرح الكاردينال لافيجري La Vigerie مخاطبا السلطة الاستعمارية وأعوانها : « علينا ان نجعل من الأرض الجزائرية مهدا للديانة المسيحية ، تضاء أرجائها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل ، تلك هي رسالتنا . » وقد كانت اهداف سياسة التنصير في الجزائر كما يلي :

- تقسيم المجتمع إلى قوميات .

- إحياء النعرات الطائفية .

- نشر الحقد والكراهية بين أبناء الشعب الواحد .

سياسة التعليم الفرنسي في الجزائر

تعتبر السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر أداة الاحتلال من أجل استمراره وتوسعه ، فقد أدركت السلطات الفرنسية أن استدمار العقول هو الضمان الوحيد للسيطرة على الشعب ، فعملت على تدجينه وضمان ولائه وإخضاعه النهائي لمشروعها الاستدماري .

وقد اتسمت السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر بمرحلتين مرحلة أولى وهي بدايات الاستدمار حيث كان يشرف عليها حاكما عسكريا ينظم قوانينها ويسهر على تنفيذها ، ثم مرحلة ثانية أشرف عليها الوزراء ورجال السياسة .

1- السياسة العسكرية :

قامت الإدارة العسكرية الفرنسية بفتح مدارس عمومية لدمج المسلمين مع الفرنسيين ، حيث صريح Fellman رئيس مكتب الشؤون السياسية في باريس عام 1846م قائلا: «إن الداعي لكل هذه الجهود هو إعداد رجال يساعدوننا من خلال نشاطهم مع المواطنين من بني جلدتهم على تغيير المجتمع العربي وفقا لمتطلبات حضارتنا »لكن فشلت هذه السياسة التعليمية للأسباب الآتية:

ـ معارضة المستوطنين الفرنسيين لتعليم أبنائهم مع أبناء الأهالي في مدرسة واحدة .

ـ تخوف الجزائريين من هذه المدارس التي كانت تحت اشراف رجال الدين المسيحي ،

ـ التميز العنصري بين المتعلمين، حيث كان التعليم اجباريا للفرنسيين وغير اجباري للجزائريين .

2ـ السياسة المدنية:

كانت الإدارة الفرنسية تهدف إلى تكريس أن «المدرسة هي الوسيلة الناجعة لتحقيق الاندماج السياسي والاجتماعي للمستعمرة في الكيان الفرنسي »

لكن هذه السياسة أفرزت صراعا علنيا بين الكولون المستوطنون من جهة وبين الجمهوريين من جهة ثانية حيث يسعى الكولون إلى مدرسة للأهالي خاصة بتكوين اليد العاملة لتنمية ثروتهم، وسعى الجمهوريين إلى مدرسة شاملة وحضارية لتغيير الإنسان بهدف إدماجه في السياسة والثقافة الفرنسية ،

3ـ الاهداف السياسة التعليمية الفرنسية :

ـ فرنسة المجتمع الجزائري.

ـ مباشرة عملية التنصير والإساءة للدين الإسلامي.

ـ تنفيذ سياسة الإدماج والقضاء على الشخصية الجزائرية والهوية.

4ـ موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي :

ـ برزت مقاومة الشعب الجزائري للسياسة التعليمية الفرنسية في شكل قطيعة تامة معها،

ـ ولم يلتحق بمدارس الإستدمار سوى أبناء الطبقات البرجوازية والعائلات النافذة والمتعاملة مع فرنسا .

ـ عارض السكان طريقة تعامل فرنسا مع المدارس الاسلامية فمثلا قام سكان قسنطينة برفع عريضة إلى الحاكم العام يطالبون فيها بإبقاء المدارس القرآنية مفتوحة طوال اليوم .

ـ و تمثل رد فعل العائلات الجزائرية في الهجرة إلى المشرق العربي حفاظا على عقيدتها وهويتها .

ـ بعد ذلك تغير موقف الجزائريين من التعليم في المدارس الفرنسية ، وبرزت الحاجة إلى التعليم بلغة المحتل حتى يتمكنوا من محاربته ومواجهته فكريا وعسكريا .

التعليم العربي الحر

ظهرت حركة الاصلاح الديني والتربوي والاجتماعي في الجزائر بزعامة عبد الحميد بن باديس في اوضاع مأساوية للشعب الجزائري من خلال محاولات المستعمر المستميتة لطمس معالم هويته الثقافية وتهميش أبنائه .إذ مع نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين عرف المجتمع الجزائري ظهور مفكرين اصلاحيين درسوا بالخارج وعادوا إلى وطنهم ليساهموا في نهضته واصلاح اوضاعه ، فبرزت الحركة الاصلاحية بين الحربين العالميتين الاولى والثانية بزعامة عبد الحميد بن باديس التي تمثلت مجمل أعمالها في:

ـ تطهير الدين الاسلامي من الخرافات والبدع .

ـ نشر العلم والمعرفة والوعي .

ـ بعث اللغة العربية وترقيتها من خلال التعليم الحر والصحافة.

ـ ارسال البعثات الطلابية و وعودتم كأساتذة ومصلحين .

ـ ظهور التعليم الحر في الجزائر الذي اهتم بتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الاسلامي ، واشتهرت منه عدة مدارس منها :

ـ مدرسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة التي تعد النواة الاساسية لمشروع التعليم الحر في الشرق الجزائري سنة1917م

ـ مدرسة دار الحديث تلمسان والتي تعد من اكبر مدارس جمعية العلماء في الغرب الجزائري والتي تأسست سنة 1937م

الجمعيات والنوادي الثقافية: اهمها :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 التي اهتمت بتربية النشء وفق ثالوثها الشهير: الجزائر وطننا والإسلام ديننا والعربى لغتنا. وهي جمعية إصلاحية حاولت بعث المجتمع الجزائري لأجل نهضة واعية.

المصادر:

أبو القاسم سعد الله ,تاريخ الجزائر الثقافي.

أبو القاسم سعد الله, أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر.

مصطفى الأشرف , الجزائر: الأمة والمجتمع .